**المحاضرة رقم 05**

* **مملكة سنغاي :**

1. **التسمية :**إن النطق الصحيح للفظ سنغاي هو بالسين المضمومة بحركة(o) اللاتينية بعدها حرف مركب من نون وغين مخففين مع إطباق مؤخرة اللسان بالتجويف العلوي ،ينتج عنه غنة ،يمد ذلك الحرف المركب منها بفتحة قصيرة ،وهو حرف موجود فيعد من كلمات هذه اللغة.

واسم سنغاي هو نسبة إلى قبائل السنغاي التي كانت تسكن على شواطئ نهر النيجر في الجزء الممتد من الانحناء إلى قرب المصب في الأراضي الواقعة شمال غربي دولة نيجيريا الاتحادية الحالية وشمال داهومي (بنين حاليا).

وكلمة سنغاي، ضبطت بهذا الشكل في أغلب المصادر التاريخية خاصة منها السودانية منها كتاب تاريخ السودان للسعدي**[[1]](#footnote-2)**، وكتاب الفتاش لكعت التنبكتي ، ويذكر الرحالة الأوروبي «فيليكس ديبوا، أن السكان يرفضون تسميتهم بالسنغاي، والملاحظ أن هذا الاسم لم يذكره «ليـو الإفريقي» (حسن الوزان)، إلا مرة واحدة في كتابه وصف إفريقيا من خلال فقرة من سطرين، أما الرحالة بارث فقد أشار إليهم بإسهاب.

و السنغاي هم زنوج لهم أصالتهم، لعبوا دورا هاما في تاريخ القارة الإفريقية، تتكون من قبلتين هما **السـوركو** و**جيـبي**، علمت الأولى في صيد الأسماك واشتغل الآخرون في الزراعة، كان موطنهم الأصلي في دنـدي أسفل «**نيجـر**» وشمال «**بوســة**» قليلا.

ولا يستعبد أن تكون كلمة «**سنغـي**» أو «**صنغــاي**» من *أصل بربري* وتحريف لكلمة

«**صنهاجــة**» لها ارتباط بقبيلة « **لمطـة**» والتي استوطن فرع منها في منطقة «**الإيـر**» وهاجر فرع آخر من ليبيا واستطون شواطئ النيجر.

1. **الموقع و الحدود :**

قبائل السنغاي كانت تسكننهر النيجر في الجزء الممتد من الانحاء الى قرب المصب في الاراضي الواقعة شمال غربي النيجر الحالية و شمال داهومي المتدة مملكة سنغاي \* منذ القرن السابع ميلادي في المناطق المحيطية بمدينة كوكيا العاصمة القديمة للدولة ، والتي تقع على شواطئ نهر النيجر الادنى ، وهي لا تبعد عن غو سوى بحوالي مائة و خمسين من جهة الجنوب

و بعد انهيار مملكة مالي أخذت مملكة سنغاي حدودها الجغرافية تقريبا وبلغة اقصى اتساعها خلال حكم الأسقيا محمد الكبير ، و بدأ بمملكة الموسى ( موسى ) فأعلن الحرب عليها ، و استشار الفقهاء و أهل العلم .

واستطاع أن يظم إلى مملكته بقية مملكة مالي القديمة و اتجه نحو الشرق من بلاد الهوسا و توغل في بلاد الايبر ( بلاد الطوارق ) وفرض عليهم دفع الجباية [[2]](#footnote-3) و في الشمال الشرقي تمكن من إخضاع تغازا وأغاديس [[3]](#footnote-4) وكان من نتيجة هذه الفتوحات إن توسعة الدولة في حدودها الجغرافية وتعددت مداخيل خزائنها ، وعمت الاستقرار و الرخاء وانعكس كل ذالك على الحياة العلمية و الثقافية في عهد الأسقيا محمد الكبير .

1. **مرحلة التأسيس و البناء :**

**-عهد حكم أسرة ضياء (dia):**

في حوالي القرن السابع الميلادي، أخذت تظهر للوجود مملكة مقومات سامية تمركزت في كوكيا، وكان البيت الحاكم هو عائلة«**ضيـاء**» أو «**Dia**»التي تأسست على يد «**ضيـاء** **الأيمن**» «**Dia-Aliaman**».ويؤكد السعدي أن «زا الأيمن» أول ملوك سنغاي جاء من اليمن.

ففي سنة81/700م هاجرت قبائل لمطة من البربر إلى مناطق الفلاحين من قبائل «سنغاي» وكان قائد المهاجمين اسمه «زا الأيمن» واستطاع هذا أن يهاجم الصيادين في المكان الذي يسكنون به وطردوهم بعيدا إلى الشمال، وقد فرح فلاحو سنغاي بهذا البطل الذي أنفذهم وجعلوه قائدا لهم وأصبح أول ملك من أسرة ملوكها، وهكذا أصبح لملوك سنغاي من البربر «البيـض» وظلوا كذلك فترة طويلة حتى انتقل الحكم إلى السود.

وكانت مدينة كوكيا هي العاصمة الأولى لهم تقع على شواطئ نهر النيجر الأدنى بين «غاو» الحالية و«تيلابـير»، وهي لا تبعد عن «غاو» سوى بحوالي مائة وخمسين من جهة الجنوب.

ومنذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي تحولت «غـاو» أو «غاو» إلى عاصمة جديدة للمملكة **[[4]](#footnote-5)** وكلمة «غـاو»، في لغة السنغاي ، ومن أسباب نقل عاصمتهم من «**كوكيــا**» إلى «غـاو» أو «**غــاو**» لوقوعها وسط البلاد، وأقرب إلى طرق القوافل.

ومن المرجح أن مملكة سنغاي كانت في بدايتها دولة صغيرة وأصبحت رقعتها تتوسع بعد أن جاءتها هجرة من بربر صنهاجة «**لمطـة**» صوب النيجر الأوسط خلال

القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي .

وأطلق عليها في البداية اسم عائلة « زا» أو «ضيـاء» وهي عائلة انتقلت من منطقة طرابلس وحكمت حتى سنة 736هـ/1335م.

وكانت مملكة «غـاو» في أيام عظمة غانة، ذات أهمية وأشار إلى ذلكاليعقوبـيعندما ذكر أن كل ملوك الزنوج يدفعون الجزية لكــوكــو أو «غـاو».

وكتب عنها المهلبي سنة 336هـ/996م أن الملك ونبلاءه يعيشون على ضفة النهر الغربية، وتوجد الأحياء التجارية على الضفة الشرقية ويتردد عليها التجار من كل مكان وبها مساجد ومدارس.

**4- إسلام مملكة سنغاي (3400هـ/1010،1009م ):**

وفي منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي بدأت مرحلة جديدة في تاريخ هذه الدولة حين أعتنق ملكها «**زاكسـي**» الإسلام  يذكر السعدي في هذا الصدد أن :«أول من تملك فيها من الملوك زا الأيمن ثم زازكي ثم زانكي... هؤلاء أربعة عشر ملوكا ماتوا جميعا في جاهلية وما أمن من أحد منهم بالله ورسوله **صلى الله عليه وسلم** والذي أسلم زاكسي يقال له في كلامهم مسلم دم معناه أسلم طوعا بلا إكراه رحمه الله تعالى وذلك في سنة أربعمائة من هجرة النبي **صلى الله عليه وسلم**... ».

وحسب تاريخ الفتاش فإن أربعة عشر من ملوك «**زا**» تولوا الحكم «**بكوكيـا**» قبل أن يحول «**زاكسـى**» المسلم العاصمة إلى «**غـاو**» سنة أربعمائة هجري، بسبب وجود هذه المدينة على الطرق التجارية وكثرة التجار بها، مستعبدا، قبائل « **سوركـو**»على طول النهر**[[5]](#footnote-6)** . ويذكر «**بـازل دافدسـون**» أن ملك «غاو» كان اسمه «**كوسـوى**» «**Kossoi**» تحول إلى الإسلام سنة 400هـ/1009م، وحدث ذلك قبل غزو المرابطين لهذه المناطق، ومن المؤكد أن كثير من الدعاة والتجار قد سبقوا هذا الغزو وعملوا على نشر الإسلام بين حكام « **سنغـاي**» وتدل التنقيبات الأثرية على ذلك، حين وجدت مقبرة قديمة سنة 1939 بها شواهد لقبور يرجع تاريخها إلى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي، كتب على إحدى هذه الشواهد ما يلي:«هنا جثمان الملك الذي دافع عن دين الله ويرقد في رعاية أبو عبد الله محمد سنة 494هـ(1100م).

وعم إسلام ملك « **سنغـاي**» خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي إلا أن غالبية الأهالي بقوا على وثنيتهم ، إلا أن الحركة التي قام بها المرابطون أدت إلى انتشار الإسلام في كل منطقة السودان الغربي، وأزداد عدد الداخلين إليه في مملكة سنغاي **.**

ولا يعرف سوى القليل عن تاريخ سنغاي فيما بين القرنين الخامس والثامن الهجريين/ الحادي عشر والرابع عشر الميلاديين باستثناء ملوكها القدامى ففي عهد مملكة مالي، تعاقب واحد وثلاثون أميرا على حكم سنغاي حكما اسميا، ولم يشملهم أي عسف أو اضطهاد من ملوك مالي لأنهم كانوا على دين الإسلام وأن تجار « سنغاي» كانوا سادة التجارة بفضل سوقي مدينتي «غاو، وكوكيا، اللتين اشتهرتا في تلك الفترة ببيع العبيد مقابل المصنوعات القادمة من البحر المتوسط.

وفي سنة 724هـ/1323م استولى ملك مالي « **منسـى مومـى** »على «**غـاو**» وذلك أثناء عودته من الحج، ودخل أهل سنغاي في طاعته وبيني بعاصمتهم مسجدا، يقول السعدي أن السلطان و«**كنكن موسى**» أي « منسى موسى» هو أول من حكم سنغاي من سلاطين مالي».

وكان من عادة ملوك السودان عند فتح أي إقليم أن يأخذوا أبناء ملك المفتوحة رينة عنهدم ويضعوهم في بيت الملك يراقبونهم حتى لا يفلتوا ويرجعوا لأوطانهم ويؤسسوا ممالكهم المغتصبة.

وبعد الانتصار الذي حققه «منسى موسى» أخذ على «كولن»و« سليمان دار » ولدي -الملك الراحل- رهينة لضمان سيطرته عل تلك المنطقة يقول السعدي :«فلما بلغا مبلغ الاستخدام أخذهما سلطان ملى لأنهما في طاعته حينئذ للخدمة على عاتقهم لأولاد الملوك الذين في طاعتهم».

**6-عهد حكم عائلة سني ( 736ـ792هـ/ 1335ـ1493م) :**

واحتجز الأميران لفترة طويلة واضطلعا بوظائف مختلفة في بلاد مالي وعرفا طرقاته ومسالكه، وتمكنا بفضل مهارة، على كلن، من الفرار من نياني في عهد «منسا مغا» عندما عند ما بدأ يصيب مملكة مالى**[[6]](#footnote-7)**، فلما فطن لهما سلطان مالي قام في أثرهما بعض رجاله ليقتلوهما وكلما دنوا منهما تقاتلوا فيكسرانهم، وتكرر القتال بينهم، فما نالوا منهما نيلا، حتى وصلا بلدهما، فكان «**علـي كلـن**» سلطانا على أهل «سنغاي»، وسمي بـ «**سـن**» **[[7]](#footnote-8)** أي المحرر وقطع صلتهم بسلطان مالي.

وبمجيء «**علـي كلـن**» انتقل الحكم بعدها إلى عائلة سني، وهي فرع من فروع عائلة «زا» أو «ضياء» الأمازيغية الطرابلسية السابقة الذكر، وتولت الحكم عندما استطاع «**علي كلن**» قد اتخذ هذا اللقب ليظهر التزامه سنة الرسول الكريم **صلى الله عليه وسلم** وقد يكون لقب «**سنـي**» مشتق من كلمة السنة المحمدية.

وقد حكم من أسرة «**سنـي**» ثمانية عشرة أميرا منهم: **«علي** **كلـن»و «سليمـان نـار**» «**إبراهيـم كابـاي»**،**«عثمـان كانافـا**»، «**بـاري كينـا»**، «**محمد دع محمد كونيجا**» «**محمد فـاري»**، «**كابيغـو»**، «**مارفـي كول»**، **«ماري هاي ماردانو»**، «**سليمان دم**» **«علي بـير»**، **«بـاري دع»**.

ومن الواضح أن الدور الهام لمملكة «**سنغاي**» بدأ مع تولي علي بن سليمان (سني دام) الملقب بعلي بير الكبير والذي تولى مقاليد الأمور في سنغاي عام 889هـ/1464م.

فقد استطاع تحرير سنغاي من سيادة الماندينغو، ووسع رقعة البلاد واستولى على تنبكت 832هـ/1468م، فاتسعت رقعة مملكته وضمت معظم القبائل المجاورة،

وتحولت سنغاي من دولة صغيرة إلى إمبراطورية كبيرة، كان هو أول إمبراطورا لها.

ورغم الدور الكبير الذي قام به « سني علي» كمؤسس فعلي لمملكة سنغاي الإسلامية فإنه تعرض لهجوم العديد من المصادر التاريخية.

وربما يرجع ذلك إلى خلطه بين المفاهيم الإسلامية والمورثات الوثنية حسب رأيهم قال عنه **محمد بيلو** في كتابه إنفاق الميسور:«وكان من صفته أن ينطق بالشهادتين ونحوهما من ألفاظ المسلمين ويصوم رمضان ويتصدق كثيرا بالذبائح وغيرها عند المساجد ونحوها، ومع ذلك يعظم الأشجار والأحجار بالذبح عندها والصدقة والنذر والتضرع وطلب قضاء حوائجه منها، ويستعيـن بها، وبالسحـرة والكهـان في أموره كلهـا أو جلها...» **.** إلا أن بعض المؤرخين يرون أن هذا الوصف، «**سنى علي** » لم يكن حقيقيا«فسنى علي » ملك طموح ومتشدد وهي صفة لكل الرجال العظماء في عصره**[[8]](#footnote-9)** استطاع إخضاع قبائل الطوارق وسيطر **على تنبكتو** وحارب «السركو» ودخل «**جنـي**» (881هـ/1476م) وتصدى لحملات «الموسى» وقبائل «**البـول**»**.**

ويقول عنه «**ديبوا Dubois** في كتابه «تنبكت العجيبة» أن هذه الأوصاف القبيحة التي وصف بها هي في الحقيقة من الفقهاء الذين أتوا بعد موته، وحاولوا تشويه سمعته رغم ما فعله من أعمال، وذكر أن شهادة المعني عبد الكريم حول إعدام عدد كبير من الرجال غير صحيحة فهو أساء معاملة بعض رجال الدين ليس لأنهم مسلمين أو رجال دين ولكن لأنهم تدخلوا في سياسته وتأمروا ضده واتهامه بارتداده عن الدين، ويعتبر البعض أن التشكيك في دينه يحتاج إلى إعادة نظرا لأنه لم يعطى أحد الدليل القاطع.

ومات سني علي سنة 898هـ/1492م بعد أن قام بدور بارز في إرساء قواعد مملكة سنغاي وخلفه على العرش، ابنه الأكبر أبو بكر داعو ولم يبق أبو بكر في الحكم إلا بضعة أشهر، حين اغتصب الحكم منه محمد توري، أحد قواد سني علي. فقد أشهر القائد محمد توري عدم التزام أبي بكر داعو بالتعاليم الإسلامية، فجعل من ذلك مبررا لإقصائه. ونتيجة لذلك أرسل إليه كبار العلماء والأعيان لإشهار إسلامه أمامه، وإعلان ولائه للإسلام دينا ودولة**[[9]](#footnote-10)**. ولما رفض أبو بكر الاستجابة لدعوة محمد توري التقى به في معركة حاسمة أطاحت بحكم وكان ذلك في قرية «**أنكـح**» قرب «**جـاو**» وتوفى بعدها سنة 899عـ/1493م**[[10]](#footnote-11)** . يذكر السعدى أنه توفي في تلك المعركة.

وبذلك بدأ عهد جديد لأسرة جديدة، قدر لها أن تقو هذه الدولة وأن تعيد للبلاد وجهها الإسلامي، ويلقب سلاطينها بلقب «اسقـيا».

1. .عبد الرحمان السعدي: المصدر السابق، ص3. [↑](#footnote-ref-2)
2. . عبد القادر زبادية : نفس المرجع ، ص143 . [↑](#footnote-ref-3)
3. . عبد الرحمان زكي: المرجع السابق، ص 140. [↑](#footnote-ref-4)
4. . المرجع نفسه، ص25. [↑](#footnote-ref-5)
5. . محمود كعت: المصدر السابق، ص43.

   Robert cornevin, op- cit, p 52. [↑](#footnote-ref-6)
6. . عبد الرحمان السعدي:المصدر السابق، ص6. [↑](#footnote-ref-7)
7. . سن: تكتب أحيانا «سن» ومعناها خليفة السلطان (كعت: المصدر السابق)، ص43. [↑](#footnote-ref-8)
8. . Alfonse Gouilly : l’islam dans l’Afrique accidentelles française- paris 1952, p 59. [↑](#footnote-ref-9)
9. . محمود كعت: المصدر السابق، ص53. [↑](#footnote-ref-10)
10. . مطير سعد غيث: المرجع السابق، ص77. [↑](#footnote-ref-11)